حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٦ (عدد إبريل – يونيه ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الأسرة الجزائرية: واقع الضغوط وأساليب التكيف

وهيبة عيساوة *
نبيلة عيساوة**
موالخير مسعودي***

جامعة: عمار ثليجي – الأغواط– الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا
جامعة: جامعة لونيسي علي – البليدة ٢– الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع
جامعة: جامعة لونيسي علي – البليدة ٢– الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع

المستخلص

تأتي أهمية هذا المقال بطرح مسألة الضغوط الأسرية والتكيف وأساليبه، هذه الضغوط التي أصبحت تواجه الأسرة في ظل نمط الحياة المعاصرة، والتي تعيقها في أداء أدوارها ووظائفها على أكمل وجه. كما يركز على وجه الخصوص بفهم وتفسير واقع الأسرة في المجتمع الجزائري .

وبذلك يهدف هذا المقال الوصول إلى تبني سياسات للرعاية الاجتماعية للأسرة وسياسات إصلاحية لتحسين أوضاع حياتها.

الكلمات المفتاحية: التكيف – الضغوط الأسرية.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

مقدمة

يؤكد التغير الاجتماعي وزيادة الخصائص الحضرية والتقدم التكنولوجي والصناعي والتأثيرات الناتجة عنها على مفهوم الضغوط وأثره على واقع الحياة الأسرية، والأسرة بصفتها نسقا اجتماعيا تتفاعل مع هذا الواقع و تحاول التكيف معه من أجل ضمان البقاء والاستمرار وحفظ توازنها، إلا أنها غير قادرة وغير مؤهلة لذلك إذ أصبحت هذه الظروف الجديدة في الواقع سلبيات معاكسة عليها.

فالضغوط الأسرية تعتبر كنتيجة لهذه التحولات والتغيرات التي طرأت على كافة مجالات الحياة التي فرضتها مقتضيات العصر، وهذه الضغوط ذات أنواع وأشكال ومصادر متعددة. ولا شك أن هذه الضغوط التي تتعرض لها الأسرة تؤدي إلى حدوث خلل في وظائفها وفعاليتها، وتحدث آثار سلبية على أعضاء الأسرة.

والحياة الأسرية الناجحة تتطلب التكيف مع المتغيرات الداخلية والخارجية، وهذا يعتمد على عوامل وأساليب التكيف المرتبطة بإعادة تنظيم نفسها، من فعالية أداء أعضاء الأسرة لأدوارها من حيث تكامل الأدوار، ومدى عمق وقوة العلاقات العاطفية بين أعضائها، والاستفادة من التجارب والخبرات السابقة الناتجة عن التعامل مع الضغوط، وعلى التماسك، المرونة والتواصل.

١- مفهوم الضغوط الأسرية

إن مفهوم الضغوط الأسرية يرتبط بتعرض الأسرة لحادث يؤثر على حياتها ويجعلها في حالة عدم توازن، وذلك بما يفرضه عليها من ممارسات مفاجئة وغير مفاجئة، تحتاج إلى إعادة تنظيم شامل لحياتها، وتستمر حالة عدم التوازن إذا لم تتحرك بطرق فعالة لمواجهة هذه الضغوط التي تتعرض لها الأسرة والتي تكون إما من داخلها (الأحداث الداخلية)، أو من خارجها (الأحداث الخارجية). ويمكن أن تحدث الضغوط "عندما تدرك الأسرة أن المصادر الداخلية والخارجية لديها تكون غير كافية للتوافق أو التعامل مع المطالب البيئية"(حسين، حسن، ٢٠٠٦، ص.٧٨).

وهناك من يحدد مفهوم الضغوط الأسرية في كونها "القوى والمؤثرات المرتبطة بالتغيرات المصاحبة لأحداث الحياة،تؤدي لتوترات واضطرابات يتطلب معها أهمية السعي لتحقيق التوازن اللازم لقيام الأسرة بأدائها الاجتماعي، وتتمثل هذه الضغوط في أشكال وتقسيمات: الضغوط الاجتماعية، النفسية الضغوط المهنية أو ضغوط العمل اقتصادية إيديولوجية وتعليمية وضغوط صحية". (الهادي، ٢٠٠٥، ص. ٦٦).

إن مفهوم الضغوط الأسرية يتضح ضمن المفاهيم السابقة فيما يلي:

– الأحداث الحياتية أو التغيرات التي تحدث في ضوء ظروف الأسرة فيتطلب ذلك إحداث تغيرات في النسق الأسرى مثل وفاة أحد الزوجين، أو تعرض الأسرة لأزمات مالية، بطالة أحد أعضائها.

– الكوارث وهي تكون غالبا ناتجة عن ضغوط البيئية الخارجية وتتطلب تغيرات وإعداد شامل.

– المطالب التي يتطلبها التغيير في نسق الأسرة والتي تشمل الحاجات المعيشية لأفراد الأسرة،والمهام المطلوبة للمحافظات على كيانها وكذالك المتطلبات المرتبطة بالمرض، الظروف الاجتماعية المتغيرة ومتطلباتها.

– الضغوط الداخلية والتي تتمثل في التوترات للعلاقات داخل الأسرة بين أفرادها(الهادي، ٢٠٠٥، ص ص.٢٧–٢٨).

وهناك من يطلق على الضغوط الأسرية بمفهوم الأزمة، وذالك انطلاقا من أنها إذا لم تعالج هذه الضغوط في وقت قصير تصبح أزمة يطول علاجها، خاصة إذ كانت الأسرة غير مهيأة مثال انهيار العلاقات بين الأفراد يحتاج إلى وقت طويل لتغيير الأهداف، والسعي الجاد لكشف العلاقة بين الدعم والإمكانيات الفردية وتخطي المشكلة(الهادي، ٢٠٠٥، ص. ٢٦).

٢- مفهوم التكيف

يتضمن مصطلح التكيف مفاهيم مختلفة المعاني نظرا لاختلاف مجالات استعمالها، ويرجع حقل استعماله إلى علوم الأحياء،إذ يشير هذا المصطلح إلى البناء البيولوجي والعمليات التي تسهم في بقاء الأجناس، فالتكيف هو تغير في الكائن الحي سواء كان التغير في الوظيفة أو الشكل للاحتفاظ ببقائه باعتباره فردا أو نوعا(النيال، بدون سنة، ص.١٣٩).

بينما يقصد بالتكيف في علم النفس التغير الذي يحدث في سلوك الفرد الذي يظهر في محاولته التوافق مع الموقف الجديد.

أما في علم الاجتماع فيقصد به التكيف الاجتماعي أي تعديل السلوك وفقا لشروط التنظيم الاجتماعي وتقاليد الجماعة الثقافية(معجم العلوم الاجتماعية، ١٩٧٥، ص.٩).

فالتكيف يتم وفق عملية التغير للظروف التي تحيط بالفرد أو تبعا لمتطلبات البيئة الطبيعية والاجتماعية، استجابة لحاجة الفرد إلى التلاؤم والانسجام مع بيئته.

٣- أنواع الضغوط الأسرية

إن الضغوط التي تتعرض لها الأسرة ذات أنواع وأشكال متعددة لاختلاف وتعدد مصادر هذه الضغوط، والتي ترجع إلى مصادر مؤسساتية –مجتمعية، أو تفاعلية– جماعية، أو مصادر سيكولوجية–فردية، أي عوامل متعلقة بالمجتمع الذي توجد فيه الأسرة والبيئة التي تعيش فيها، وعوامل تتعلق بالفرد، وهذا ما أكدته نتائج دراسة جزائرية والتي خلصت إلى أن صراع الأدوار بين متطلبات العمل والأسرة يؤدي بالزوجة العاملة إلى الإحباط الشديد، وكذا إلى تدبدب توافقها الزواجي ويهدد استقرارها النفسي والعائلي(دغة، ٢٠١٣، ص.٦١٢). فمجالات الضغوط التي تتلقاها الأسرة كثيرة ومتشابكة، أهمها تلك المتعلقة بالمحيط وبمجالات العمل، والضغوط الذاتية(الداخلية للأسرة)، وضغوط المسكن، والضغوط المادية، وغيرها من الصعوبات الحياتية الحضرية، وهي جميعها مترابطة ومتشابكة تؤثر في بعضها البعض (بومخلوف وآخرون، ٢٠٠٨، ص.٢١).

ونستعرض أنواع الضغوط التي تتعرض لها الأسرة كما يلي:

٣-١- الضغوط النفسية والانفعالية: إن الضغط النفسي له أبعاد اجتماعية واقتصادية وسياسية ومهنية، باعتبارها المجال الذي يتحرك فيه الفرد وهي التي تنشأ الضغط، وأبعاد ذاتية سواء كانت جسمية–عقلية أو معرفية–نفسية. كما قد "تنشأ الضغوط من المتغيرات النفسية عندما يكون هناك اختلالا في الميكانيزمات الدفاعية وقصور في إشباع الحاجات، وعندما تكون منظمات النفس في حالة صراع أو قلق أو شعور بالإحباط وعدم توافق وتكيف نفسي"(الرشيدي، ٢٠٠٤، ص ص.٦–٧). ومن بين هذه الضغوط النفسية التي تعاني منها الأسرة الضغوط التي تواجهها المرأة العاملة التي تحاول إتباع أساليب وطرق لمواجهة وإدارة الضغوط، الأمر الذي يزيد من شعورها بالمشقة نتيجة تعدد الأدوار التي

تؤديها داخل البيت وخارجه، وهذا ما يجعلها أكثر عرضة للكثير من الأمراض النفسية–الجسدية، لأن تداخل هذه الأدوار بين العمل ورعاية الأبناء والعناية بالبيت الأسري...الخ يصبح يشكل لها ضغط يهدد كيان الأسرة ككل (دراوات، ٢٠١٨، ص ص. ٨٨–٩٠).

٣-٢- الضغوط الصحية: تتحدد هذه الضغوط في الاضطرابات والتوترات الناتجة عن إصابة أحد أفراد الأسرة بأمراض مزمنة، كتوتر العلاقة بين الزوجين وباقي أفراد الأسرة، نتيجة صعوبة التأقلم مع مثل هذه الظروف، كوجود إعاقة عند أحد أفراد الأسرة، وهذا ما يفرض عليها مواجهة متطلبات هذا الوضع في حدود إمكانياتها، إلى جانب ما قد يفرضه هذا المرض أو تلك الإعاقة من أعباء خلال تحديد المسؤوليات وتوزيع الأدوار في الأسرة، إذ أثبتت نتائج لدراسة جزائرية حول الأسرة والإعاقة العقلية، بأن الطفل المعاق يحتاج إلى عناية خاصة وهذا ما يحمل أفراد أسرته أعباء كثيرة (من توفير العناية اللازمة والتكفل بالبرامج العلاجية والتربوية المناسبة...الخ) تجعلهم يمرون بجملة من الضغوط النفسية والانفعالية، وكذا معانات الأسرة من خلل وظيفي لأن الابن المعاق أثر عليهم بطريقة سلبية(حاج سليمان، ٢٠١٦، ص.١٢).

٣-٣-الضغوط الإيديولوجية والتعليمية: إن الإيديولوجية هي نسق من الأفكار والمعتقدات الموجودة في المجتمع ما، ويتخذها أفراد المجتمع فلسفة رئيسية في توجيه قوى الحياة الاجتماعية، "ويظهر دور هذا العامل في الأسرة في ارتفاع مستوى رعاية الأطفال والتنشئة وأسلوب الزواج ومتطلباته، وانتشار الديمقراطية والتثقيف العام"(عبد الحميد، ١٩٩٨، ص.١٠٢). فهناك علاقة بين المستوى الثقافي للأسرة وتفاعلها مع الظواهر الأخرى الموجودة في المجتمع الذي تعيش فيه مؤثرا فيها ومتأثر بها. فالتفاوت الثقافي بين الزوجين مثلا قد يؤدي إلى خلل في الإشباعات والسلوكيات نتيجة لاختلاف أفكار كل منهما حولها، وقد يظهر الخلل في نوعية التعاون بينهما مما يخلق أدوار متصارعة في الأسرة، وتراكم هذه التوترات يضعف من العلاقات العاطفية بين الزوجين، ويجعل الأسرة غير قادرة على مواجهة أي انحراف مهما كان بسيطا، وتكون النتيجة الطبيعية زيادة احتمالات ظهور الضغوط أو الأزمات(الخولي، ٢٠٠٠، ص.٢٥٤).

إضافة إلى هذه الضغوطات فالتغيرات الثقافية التي تشهدها الأسرة الحديثة واطلاعها على ثقافات مغايرة على التي ألفتها، بما أنتجه من اختلافات ثقافية للأسرة وأفرادها، وما تعيشه من غزو ثقافي معاصر بكل ما يحمله من مصادر الثقافة والتنشئة كمؤثرات خارجية عن الأسرة، كالإعلام وتكنولوجيا المعلومات ووسائل الإيصال السريعة وغيرها. زيادة على ذلك، فقد تشكل إيديولوجية المجتمع بما يتطلبه من قوانين ومن أساليب تربوية وتعليمية وقرارات تنظيمية ضغوطا على الأسرة إذا كانت هذه الإيديولوجيا لا تتفق وإمكانيات واحتياجات الأسرة، أو تتصارع مع متطلباتها(الهادي، ٢٠٠٥، ص.٨٥).

٣-٤- الضغوط الاقتصادية: يعتبر العامل الاقتصادي من أهم العوامل التي يمكن أن تشكل ضغطا على حياة الأفراد وحياة الأسرة، حيث أن انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة الذي لا يمكنها من الحصول على الموارد الاقتصادية الكافية لإشباع حاجاتها الضرورية وتحقيق أهدافها يمكن أن ينعكس آثاره على الكثير من جوانب حياتها المعيشية الأخرى كالتعليم، الصحة...الخ، كما يمكن أن يؤثر على نمط سلوكها الاستهلاكي والاجتماعي، وقد يمتد هذا التأثير إلى مستويات عمليات التفاعل الاجتماعي بين أفرادها، فيجعل الأسرة عاجزة عن أداء وظائفها الأمر الذي قد يعرضها إلى التفكك، "إذ يعتبر العامل الاقتصادي من أكثر وأهم العوامل تأثيرا في الأسرة، فطبيعة العمل، مصدر الدخل، وإمكانية الحصول

على السلع والاحتياجات الأساسية...وأي تغير في الاقتصاد أو الدخل الفردي يؤثر على الأسرة وأنماطها"(بشير وآخرون، دون سنة، ص.٩٩).

وقد أظهرت الكثير من الدراسات أن الأزمات الاقتصادية العنيفة وبطالة الزوج تؤدي في كثير من الحالات إلى زيادة في مشكلات الأسرة، فالصعوبات المادية تؤدي إلى عدم الترابط الأسري بخلق صدامات ومشاجرات وعداء بين أفراد الأسرة(رحماني، ٢٠١٠-٢٠١١)، خاصة إذا كانت هذه الشجارات مستمرة وفي وجود أطفال داخل الأسرة، حيث تكون لها انعكاسات سلبية عليهم، مما يفقد الوالدين الجهود الموجهة نحو رعايتهم، كما يفقدهم احترامهم لأطفالهم ويضعف ارتباطهم بهم. ويعتبر العامل الاقتصادي مسؤول أيضا عن بعض الانحرافات السلوكية التي تصيب أحد أفراد الأسرة، كهروب رب الأسرة من مواجهة وتحمل مسؤوليته اتجاه الأسرة، واللجوء إلى الإدمان على الخمر والمخدرات، أو إلى السرقة والجريمة وممارسة الأعمال غير المشروعة، مما يعرضه للسجن أو هجر الزوجة للأسرة.

٣-٥- الضغوط الاجتماعية: إن الأسرة لا يمكن فهمها كظاهرة منعزلة بل لابد من النظر إليها في ضوء النظم الاقتصادية والسياسية والدينية والأوضاع السكانية في المجتمع الذي تكون جزء منه، يتأثر ويؤثر في نفس الوقت، "فهي إنتاج اجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي توجد وتتطور فيه، فإذا اتصف المجتمع بالتقدم والتغير والتطور تغيرت الأسرة بتغير ظروف هذا المجتمع" (Boutefnouchet, 1980, P.38). وقد عرفت هذه الأخيرة تغيرات فرضت عليها ضرورة التكيف مع متطلبات الحياة الحضرية وما تقتضيه من تلبية متزايدة لاحتياجات أفرادها، مما ألزما تغيير التوجه إلى أنشطة وأساليب جديدة لتحقيق هذا التكيف. فقد ترتب على هذه التأثيرات تغير في خصائص البناء الأسري وتوزيع الأدوار والوظائف والعلاقات الأسرية، إذ تعيش الأسرة وسط مجتمع متغير، والمجتمع المتغير المحيط بها لا بد أن يؤثر فيها تأثيرا واضحا، من شأنه أن يغير تركيبها الاجتماعي ووظائفها وعلاقتها الداخلية والخارجية ونظم زواجها وسكانها واستقرارها البيتي، وإيديولوجيتها وأساليب حياتها وطرق تفكيرها ومركز أفرادها(الحسن، ٢٠٠٥، ص.٢٧٤).

لقد أصبحت الأدوار والوظائف غير واضحة بعد نتيجة لتداخلها، وما زالت هناك معايير مزدوجة عن حركة التغير المستمر للمجتمع وعدم قدرة الأسرة على مواكبتها، إلى جانب التغير في القيم والمواقف الاجتماعية والمراكز الاجتماعية لأعضاء الأسرة، وعلاقة الرجل بالمرأة والأبناء وظهور الاتجاهات المستقلة، إضافة إلى شيوع نمط الاستهلاك وتغلب النزعة الفردية نتيجة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية وما تسببه من شعور بعدم الأمن المادي. ومع تواصل عملية التحديث تفوز أنماطا جديدة من السلوك والقيم الجديدة في المجتمع، ينشأ عنه تناقض وصراع بين الأدوار التقليدية والمستجدة، "فطرح موضوع التغير الاجتماعي يعود إلى أهمية ومركزية التحولات المتعددة التي تعرفها المجتمعات في البلدان في طريق النمو، والسرعة الفائقة لهذه التحولات على كل المستويات على مستوى الأسرة إلى الدولة، مرورا بالمسؤوليات والسلوكيات الجماعية والفردية (Boutefnouchet, 2004, P.9) فالسرعة التي تتم بها التغيرات في البناء الاجتماعي يجعل من الصعب على الأسرة أن تتغير معه بشكل متوازن، ولذا من المتوقع

أن تواجه الحياة الأسرية بعض التوترات والاضطرابات "ففي المجتمعات التي تتغير بسرعة تتعرض كل جوانب الحياة الأسرية إلى اضطرابات عنيفة"(الخولي، ٢٠٠٠، ص.١١٧). فالتغير الاجتماعي يرافقه تأثيرات عميقة بما يبرز ضمنه من متغيرات ومؤثرات ذات ميزة التعارض والتضاد بين الأسرة ومحيطها الاجتماعي، ويضيفها أعباء جديدة وأعباء إضافية ليست مهيأة لها(المكتب التنفيذي لمجلس وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ١٩٩٤، ص.١٤٤). فالمرأة العاملة مثلا يمكن أن ترى بأن الزوج غالبا ما يلجأ للراحة فور عودته للبيت، بينما هي لا يمكنها ذلك بسبب مسؤولياتها المنزلية الكثيرة، وقد تشعر بالندم لأنها تزوجت، وتحس بالحسد من زميلاتها غير المتزوجات لعدم التزامهن بمسؤوليات البيت والأسرة(مداس، قحقوح، ٢٠١٣، ص.١٥٨).

فهذه التغيرات الاجتماعية المعاصرة التي تمر بها الأسرة تشكل بالنسبة لها مصدرا للضغوط الاجتماعية لديها، باعتبار "الأسرة بيئة اجتماعية تتأثر ايجابيا وسلبيا بدرجة التكيف والتوافق مع المتغيرات التي تحدث في بنائها، ومدى القدرة على الملائمة بين الأهداف المستقبلية والظروف المرحلية"(الهادي، ٢٠٠٥، ص.٧٠).

٣-٦- الضغوط السكنية: للمسكن عدة وظائف في حياة الأسرة، إذ يعتبر "أحد الحاجات الأساسية للإنسان وعنصرا هاما يحدد نوع الحياة، فهو يقدم المأوى ويوفر مختلف الإمكانيات والتسهيلات التي تضفي على الحياة المنزلية الراحة والطمأنينة الآمان"(رشوان، ٢٠٠٢، ص.٩٥). كما تمكين ساكنيه من تجديد طاقاتهم البدنية والروحية والاجتماعية، وهو مكان للتربية الاجتماعية وإعادة إنتاج الثقافة والتراث من خلال التواصل بين جيل الآباء وجيل الأبناء، ومكان للضبط الاجتماعي وتقوية الضمير الذاتي للأفراد، وهو مجال لتقوية الروابط والتضامن الاجتماعي للأسرة الصغيرة والكبيرة ونظام القرابة(بومخلوف وآخرون، ٢٠٠٨، ص.٣٧). ولقد كشفت دراسات أن الخمول وهبوط الحيوية هي من أهم أسباب اختلال المزاج والإدمان، وأن ظروف الإسكان الرديء من أهم الأسباب المباشرة لهذه الأمراض الاجتماعية (رشوان، ٢٠٠٢، ص.٩٥).

ويعتبر المسكن أيضا المجال الأول والبيئة المناسبة للعملية التربوية التي توفر فرص للتفاعل الاجتماعي، حيث تتم من خلاله هذه العملية بصورة مقصودة وغير مقصودة، ولذلك فإن أي خلل يصيب هذين العنصرين(الأسرة والمسكن) يؤثر مباشرة على أداء وفعالية هذه الوظيفة أي على الكفاية التربوية للأسرة (بومخلوف وآخرون، ٢٠٠٨، ص.١٣)، بظهور التوتر في العلاقات بين الوالدين والطفل إذ كان المجال ضيقا، كما يجعل مقومات الحياة الشخصية شبه معدومة، بنشأة العديد من ردود الفعل العدوانية، "فكثيرا من أساليب المعاملة المتشددة التي يتلقاها الطفل وخاصة التوبيخ واللوم والعقاب، تكون نتيجة ضيق المسكن أكثر منها نتيجة أخطاء من جانب الأطفال، بحيث تتدخل الظروف المادية للسكن بطريقة مباشرة في العقاب"(الراشدان، ٢٠٠٥، ص.١٣١).

ويدفع ضيق المسكن الآباء في أحيان كثيرة إلى تشجيع الأبناء على الخروج إلى الشارع رغبة في الحصول على مزيد من الهدوء خاصة بعد عودتهم من العمل(عيساوة، ٢٠١٣-٢٠١٤، ص.٢٣٧)، ولكن ذلك يساهم في حدوث نتائج سلبية ينجم عنها تأثيرات خارجية من رفقاء الشارع والتي غالبا ما تؤدي بهم إلى الانحراف، فقد أكدت الحقائق العلمية أن المسكن غير الملائم يقوم بدور أساسي في السلوك الانحرافي وقد تبين أن المساكن الرديئة عامل هام في كافة مظاهر الانحرافات الاجتماعية خاصة بالنسبة

لانحراف الأحداث(حسن، دون سنة، ص ص. ٦٠-٦١)، فيتحول المسكن بهذا إلى مجال طارد وليس عامل جذب.

لهذا فالمسكن له أهمية كبيرة في نمو الطفل، فهو يعكس حاجته التي يجب توفرها خلال عملية النمو "حيث لا يوجد مكان خاص به مثلا حجرة خاصة به أو سرير أو مكتب، فعدم الشعور بالخصوصية يؤدي إلى الشعور بالاكتئاب والنفور من المكان"(بشير، إقبال، دون سنة، ص.١٠٧)، وهذه كلها عوامل تجعل ظروف الدراسة بالنسبة للأبناء غير ملائمة، وهذا ما ينعكس على تحصيلهم الدراسي.

ويعكس المسكن أيضا صورة المركز الاجتماعي للأسرة خاصة لدى المراهقين الذين يربطون بين شخصياتهم والمظهر الخاص بالمسكن، وهذا يظهر من خلال المشكلات السلوكية لديهم بإتباع أساليب لتجنب المسكن والابتعاد عنه "فهم يختارون أصدقائهم ويوجهون نشاطهم، ويمارسون حياتهم بصفة عامة على أساس تحاشي استقبال الأصدقاء في بيوتهم(حسن، دون سنة، ص.٣١١).

ويؤثر تغيير مكان الإقامة الأسرية أيضا على حياة أفراد الأسرة خاصة الأطفال منهم، إذ يصبحون أكثر التصاقا بالأسرة وأكثر اعتمادا عليها في مختلف الأمور الحياتية لغياب جماعة الرفاق، وهذا يجعل دائرة سلوكاتهم ضيقة وخبراتهم قليلة، إلى جانب الاضطرابات في المجال الدراسي للطفل بما تطرحه مشكلات التكيف للمناهج والمسؤوليات والمعلمين وعدم الاستيعاب، فالوضع السكني للأسرة يقوم بدور هام في ديناميكية العلاقات الأسرية وتؤكد الدراسات على وجود علاقة بين نوع العلاقات الداخلية بين أفراد الأسرة من جهة ومتغير المساحة المخصصة لكل فرد في الأسرة من جهة ثانية (De Lauwe, 1962, P.74)، فالانفصال المباشر عن علاقات القرابة يفقد الجو النفسي والدفء الاجتماعي لأفراد الأسرة، وينقص فرص التضامن الاجتماعي والتآزر في الأوقات الصعبة، وهذا ما يميز الأسرة الجزائرية اليوم التي أصبحت تميل أكثر إلى الاستقلال في المجال الجغرافي بعيدا عن الأهل والأقارب، حتى أن وجود كبار السن فيها أصبح غير محبذ، لأن هذا المسن لديه متطلبات كثيرة خصوصا الصحية التي قد لا يستطيع الإبن تحملها (زهراوي، ٢٠١٥، ص.٥١).

٣-٧- دورة حياة الأسرة: تعد دورة حياة الأسرة مصدرا من مصادر الضغوط داخل الأسرة، فخلال الحياة يضطر كل عضو من أعضاء الأسرة إلى تغيير دوره أو مسؤولياته وأعماله والانتقال من مرحلة لأخرى، وهي أكثر المواضع عرضه للضغوط والأزمات، فميلاد طفلا، ذهاب أصغر طفل للمدرسة أو بدئه عملا ما، ترك المنزل، الاعتزال عن العمل، موت الزوج كلها أمور تسبب توتر في الأدوار وتعد مواضع ضغوط وأزمات (De Lauwe, 1962, P.331). وقد قدمت "إيفيلين دوڤال" إيضاح لمفهوم المهام أو الواجبات التنموية التي تعين على الفرد أن يواجهها، حيث تنشأ هذه المهام في فترة زمنية معينة في حياة الفرد، وفي مقابل ذلك نجد أن هناك مهام وواجبات تفرض على الأسرة، حيث تتميز كل مرحلة من دورة حياتها بمهام معينة يكون من المحتم عليها أن تقوم بها(دعبس، ١٩٩٧، ص.٧٣).

ويرى الاتجاه التطوري أو التنموي أن لكل مرحلة تطورية ظروف وشروط تلزم الأسرة القيام بمهام معينة، لكن تواجه شروط وظروف مرحلة تطورية جديدة أو لكي تتقبل

التغيرات الآتية، وغالبا ما تمثل ظروف وشروط الأسرة أهدافها وغاياتها لأنها غير مستقلة بذاتها عن باقي الأنساق الاجتماعية، بالوقت ذاته غير معتمدة عليها بشكل تام، بل تتفاعل معها حسب ظروفها وشروطها... (عمر، ٢٠٠٠، ص ص. ٣٩ –٤٢).

فهناك فترات معينة من دورة حياة الأسرة تكون أكثر تعرضا للضغوط من فترات أخرى، بسبب تركيبتها البنيوية وبسبب المراكز التي يشغلها الأفراد داخل الأسرة، "فمثلا العائلة ذات ثلاث أولاد في سن الحضانة تمثل هذه الفترة أمراض الطفولة النموذجية، والطلبات التي تنصب على القدرة الجسدية والعاطفية للأم الزوجة التي يتطلبها الأولاد في هذا السن، واحتمال أن يكون دخل الأب الزوج في الجزء الأكبر من سيرته الوظيفية منخفضا... والمطالب المالية الكبرى المرتبطة بإسكان وتغذية وكساء، عائلة تنمو والتي تؤول بصورة حتمية إلى العجز المالي ونقيض لذلك، تبدو فترة ما بعد الأبوة كأنها فترة الهدوء النسبي مع إمكانية بعض الثبات الوظيفي والمالي"(رود جرز، ١٩٨٧، ص ص ٣٨٢–٣٨٣).

٤- العوامل المساعدة على تكيف الأسرة الجزائرية مع الضغوط

لا شك أن ما يسود الحياة الأسرية من أزمات ومشاكل، يعتبر مصدر رئيسي للضغوط الأسرية التي تعاني منها أغلب الأسر في الوقت الحالي، وقد تنعكس آثار هذه الضغوط على الأسرة بالدرجة الأولى حيث قد تعجز عن القيام بوظائفها على أكمل وجه. والأسرة الجزائرية ليست بمنأى عن ذلك، إذ تمر في الوقت الحاضر بتغيرات اجتماعية واقتصادية هامة، والتي انعكست على نظام تقسيم العمل فيها، التعليم، التربية، الوظائف، والقيم والتركيبة التي تغيرت بعدما كان للاستعمار الفرنسي دور حاسم في ذلك، فتنوع نمطها بانتشار الأسرة النووية، وتقلص حجمها، وتغير نظام قرابتها والعلاقات بين أفرادها التي أصبحت تتجه أكثر نحو الاستقلالية وتحقيق المصلحة الفردية، كل هذه التغيرات ساهمت في تعقد وتنوع الأدوار فيها، وكان للتغير العمراني الذي انتقلت فيه الأسرة الجزائرية من النمط التقليدي الذي كان يظم العائلة الكبيرة، إلى النمط العصري الذي يميز الأسرة الزواجية الحديثة من بين المشاكل التي صادفتها الأسرة الجزائرية جراء هذه التحولات، ويضاف إلى ذلك تفاقم أزمة السكن، البطالة، غلاء المعيشة...الخ. هذه الظروف الاجتماعية العامة زادت من ضغوط معظم أنشطة أفراد الأسرة اليومية، وهذا ما دفعهم إلى البحث عن كيفية إدارة مستويات الضغوط حتى يتمكنوا من البقاء ويستمروا في أداء وظائفهم وأدوارهم الأسرية والاجتماعية(بوروبي، ٢٠١٣، ص.٠٩).

وتقع الأسرة دائما تحت مؤثرات ومصادر للضغوط تثير تغيير في نظامها الداخلي أو الخارجي، وقد تكون بعض الأسر أكثر نجاحا في إدارة الضغوط عن الأخرى، وبالتالي فهي تحول هذه الضغوط إلى قوى ايجابية دافعة، وهي الأسر التي تحافظ على ثبات نظامها وصلابتها، وهناك أسر أخرى تواجه نفس المتطلبات والمصاعب إلا أنها تفقد القدرة على التحكم أو التصرف بأساليب تعرض وظيفة الأسرة للخطر (Berkey, Hanson, 1991, P.42). وتعتبر الدراسات التي قام بها"هيل hill"عن الأسر التي تعاني ضغوط خارجية عظيمة الأهمية، تشير إلى توفر ملامح هامة تسود بين الأسر التي تتعرض للضغوط، وكذلك نوع الاستجابات المختلفة وأنماط التكيف، وانتهى إلى أن العوامل التي تساعد على التكيف الناجح هي(حسن، دون سنة، ص.٢٣–٣٣):

١- إدراك الاعتماد المتبادل بين جميع أعضاء الأسرة باعتبارهم أجزاء من وحدة متكاملة، يعتمد فيها كل عضو على العضو الآخر.

٢- شعور كل عضو بالإشباع نتيجة الأدوار التي يقوم بها في الأسرة كيفما كانت هذه الأدوار.
٣- توزيع المسؤوليات الأسرية بين جميع الأعضاء.
٤- مرونة الأسرة في مواجهة الموافق الجديدة.
٥- كفاءة الاتصالات المتبادلة في الأسرة.
٦- توفر فرص النضج والنمو في البيئة الأسرية.

يظهر أن العوامل المؤدية إلى تكيف الأسرة مع الضغوط يعتمد على فعالية أداء أعضاء الأسرة لأدوارها، من حيث تكامل الأدوار ومدى عمق وقوة العلاقات العاطفية بين أعضائها، والاستفادة من التجارب والخبرات السابقة الناتجة عن التعامل مع الضغوط وكذلك مشاركتهم في اتخاذ القرارات، وهذا ما توصلت إليه الأسرة الجزائرية التي أصبحت تشارك كل أفرادها اهتماماتها وانشغالاتها، وتظهر هذه المشاركة في القرارات بصفة ملموسة وأكثر واقعية بين كل من الزوج والزوجة سواء كانت هذه الأخيرة ماكثة بالبيت أو عاملة، رغم أن هناك تفاوت من حيث هذه المشاركة أين يتدخل متغير المستوى التعليمي والمهني في التأثير أكثر على ذلك، بينما يظهر متغير السن وعدد الأطفال في تحديد مقدار هذه المشاركة عند المرأة الماكثة بالبيت، وتكون هذه المشاركة في مختلف الوظائف التي تهم الأسرة، كتعليم الأبناء، التخطيط لمستقبل الأسرة، قضاء وقت الفراغ، حل بعض المشاكل التي تعترض الأسرة، إدارة ميزانية الأسرة، شراء الأثاث...الخ (عيساوة، ٢٠١١-٢٠١٢، ص ص: ٤١٢-٤٥٥). كما تصبح للأسرة ملامح بأن "تبقى الروابط الداخلية قوية بمزيد من الشعور بالمسؤولية...وأضحى الوعي وإرادة الإخلاص المشترك بين أعضاء الأسرة حافزا حملهم على أن يعتبروا علاقاتهم علاقات شركاء متضامنين"(العوا، ١٩٩١، ص.٢٥٠). فالحياة الأسرية الناجحة تتطلب التكيف مع المتغيرات الداخلية والخارجية وهذا يعتمد على ثلاث جوانب للتفاعل الأسري وهي: التماسك، المرونة والتواصل.

أ-التماسك: يقصد به مستوى الروابط الانفعالية والعاطفية بين أفراد الأسرة، فالأسرة تظهر مستوى من التماسك تظل العلاقات بين أفرادها مستمرة رغم انفصال وابتعاد بعض الأفراد، حيث يعتبر التماسك هو خط الأساس في الأسرة (إبراهيم، ٢٠٠٧، ص.٥١). ومن العوامل التي تدعم التماسك بين الأعضاء توافر التجانس من حيث طبيعة المشكلات والضغوط التي يعانون منها، كما حددت عوامل أخرى منها "الثقة والتقبل، التعاطف والرعاية، الأمل والمودة والانفتاح عن النفس، التغذية الرجعية بين الأعضاء"(عمر، دون سنة، ص.٢٦٣). فالتماسك الأسري يؤدي إلى ولاء الأسرة لبعضهم البعض، إذ يقدمون الدعم المادي والمعنوي لبعضهم البعض، حيث يكون التعاون كتنظيم اجتماعي، بتوحيد المواقف والأهداف والاتجاهات، وتعميق المشاركات الوجدانية والروابط الأسرية، كما تكون وظيفة الدعم من خلال التآزر والمساندة، ويكون أفراد الأسرة قادرين على عرض مشكلاتهم على أسرهم ومفضلين مشورتها في الكثير من القضايا، والتكيف مع كل الأعباء من طرف جميع أفراد الأسرة بالنظر إليها على أنها جزء من أدوارهم في الحياة، مع العمل على التخفيف منها بمشاركتهم في إدراك احتياجات الأسرة، وتكون الأسرة متماسكة أيضا إذا اتسمت بالصفات التالية(إبراهيم، ٢٠٠٧، ص.٦٣):

– الترابط الوجداني: حيث يتآزر أفراد الأسرة مع بعضهم البعض ويساندون بعضهم البعض.
– الحدود الأسرية: ويقصد بذلك أن أفراد الأسرة يستطيعون طرح مشكلاتهم في إطارها الداخلي ويفضلون مشورة بعضهم بعضا عن مشورة غيرهم.
– صنع القرارات: إشراك جميع أفراد ها في اتخاذ القرارات الهامة ويساعد أفرادها بعضها بعض في ذلك.
– الاهتمامات والتسلية: قد يتشابه أفراد الأسرة الواحدة المتماسكة في ميولهم واتجاهاتهم وفي أنماط التسلية التي يمارسنها، كما أن التماسك الأسري يعكس قدرة الأسرة على التكيف مع الضغوط.

إلى جانب ذلك هناك عوامل أخرى تزيد في تماسك الأسرة وثباتها واستقرارها، والتي تتمثل في ما يلي(عثمان، ٢٠٠٩، ص.١٣٨-١٣٩):
– الإشباع النفسي: الذي يتحدد فيه الفرد داخل الجماعة أو العمل على الإلغاء بما كلف به ودرجة قبوله بين أفراد الجماعة، حتى لا تتعرض دوافعه للإحباط.
– الانتماء: وهو الشعور الحقيقي للفرد داخل أفراد أسرته، وهذا لا يأتي إلا من مسايرة المعايير السائدة واحترام العادات والقوانين وتنظيم الأسرة، وهذا مما يجعل القبول الاجتماعي والانتماء أساسا لثقة الفرد في نفسه وفي أسرته.
– الإشباع المادي والبيولوجي: اللذان لا يأتيان إلا بتماسك الجماعة وقوى علاقات الترابط، فكلما شعر الفرد في الوقت نفسه بضرورة التعاون ينمي عنده الإحساس بالآخرين والشعور بالمسؤولية، وكل ذلك يساعد على استقرار الأسرة.
ب– المرونة: وهي قدرة الأسرة على التكيف مع المطالب الخارجية أو المتغيرات في البيئة المؤثرة في الأسرة والتغيرات في البيئة الداخلية، وقدرتها على التصرف عندما تواجهها مواقف أو مهمات تتطلب منها التكيف مع الوضع الجديد، "لأن التكيف هو قدرة الأسرة على تغير البناء الأسري وأدوار الأفراد داخل الأسرة وتطوير قواعدها ومتطلباتها وهذا ما يسمى بالأسرة المرنة التي تسعى إلى إيجاد التوازن بين أفرادها "(إبراهيم، ٢٠٠٧، ص.٥). ولكي تكون الأسرة مرنة عليها أن تحقق لنفسها ولأعضائها عددا من الشروط:
– القيادة: وهي أن لكل فرد في الأسرة حق المشاركة في اتخاذ القرارات.
– تأكيد الذات: وتعني أن الأفراد يعبرون عن رأيهم ويقولون ما يشاءون قوله أمام أفراد الأسرة، ويفصحون عما يجول في خواطرهم.
– الضبط والنظام: أنه من شأن جميع أفراد الأسرة إبداء رأيهم في العقوبات المفروضة.
– التفاوض في مشكلات الأسرة: فإجراء النقاش حول إيجاد الحلول المناسبة لها ضمن حوار مفتوح.
– الأدوار: ويقصد به مدى تحمل الفرد لمسؤولية في الأسرة وعدم التخلي عنها للآخرين، ومرونة الانتقال من دور لآخر حسب متطلبات الحياة اليومية.
– القواعد المحدودة السلوك: التي تشير إلى مدى الوضوح أو الغموض في القواعد التي تسير عليها الأسرة و المرونة في تغيرها.
ج– التواصل: يعرف بمدى قيام أفراد الأسرة بالتعبير عما يجول في خواطرهم وفي حياتهم، كما أنه يمثل تجاوب أعضاء الأسرة مع بعضهم البعض، ففي الأسرة المتواصلة يسود الاحترام المتبادل بين أفرادها ويحدث بعضهم البعض دون حواجز، ويتقلبون الآراء

المغايرة برحابة صدر ويتعاونون على وضع حلول لمشكلاتهم وأزماتهم (إبراهيم، ٢٠٠٧، ص ص.٥١-٥٢).

وهناك من يحدد مفهوم التواصل في المشاركة وهذا من حيث(عمر، دون سنة، ص.٥):

١- المشاركة الوجدانية التي تتضمن الإحساس المتبادل بين أعضاء الجماعة.

٢- المشاركة الفكرية التي تتضمن تبادل الأفكار والآراء ووجهات النظر والمناقشة الموضوعية.

٣- المشاركة الاجتماعية التي تتضمن تحمل المسؤولية الكاملة فيها يتعلق بوظائف كل منهم وأدوارهم في نطاق الأسرة.

٤- المشاركة الترويحية التي تتضمن الاستمتاع بالهوايات والمواهب وتخصيص أوقات معينة لمزاولتها.

٥- أساليب تكيف الأسرة الجزائرية مع الضغوط

الأسرة بصفتها نسقا اجتماعيا فهي تتفاعل مع هذا الواقع وتطور لنفسها آليات تضمن لها البقاء والاستمرار، وتحفظ لها توازنها وتكيفها مع البيئة المحيطة بها، "لكي تعيش الأسرة وتبقي على حياتها لا بد لها من بعض القدرة على التوافق مع المتغيرات المختلفة سواء كانت خارجية أو داخلية، فالأسرة كثيرا ما تلجأ إلى التغير في تركيبها ومن وظائفها للتوافق مع متغيرات البيئية "(بشير وآخرون، دون سنة، ص.١٥)، فإذا عجزت عن مسايرة المتطلبات والتكيف مع الضغوط فان ذلك يهدد استقرارها واستقرار أفرادها.

وتتضمن الكتابات والأبحاث المتنوعة في موضوع التكيف الأسري مصطلحات متنوعة مستمدة من البنائية الوظيفية مثل الثبات، الاتزان التكامل والتكيف وغيرها من المصطلحات الوظيفية التي تركز على تحقيق الزواج والأسرة والأهداف المرجوة منها، إلى جانب التكيف الزواجي مع"بيرجس "وكوتيل" و"لوك" و"والاس"(حلمي، ١٩٩٠، ص.٢٠٧). ويعتبر التكيف أحد المتطلبات الوظيفية والاحتياجات لدي الأسرة كنسق حسب "بارسونز"، إذ يشير إلى ضرورة تكيف الأسرة أو تلاؤمها مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تعيش فيها. إن تعامل الأسرة مع الضغوط التي تواجهها يتم من خلال إعادة تنظيم نفسها، وهناك ثلاث أشكال تميز الأسرة القادرة على الاستجابة بكفاءة للأحداث الضاغطة وهي(الخوالي، ٢٠٠٠، ص.٢٥٦):

- الاحتواء: يشير إلى الاندماج أو المشاركة في الحياة الأسرية عن طريق أعضاء الأسرة، بالنظر إلى الأعباء والضغوط الملقاة على الأسرة على أنها جزء من أدوارهم في الحياة، ويقتضي تقبل كل فرد لمسؤولياته وواجباته وأداء دوره.

- التكيف: يشير إلى قابلية الأسرة وكذا قابلية كل فرد على تغيير استجابتهم للآخر وللعالم من حولهم حسبما يقتضيه الموقف.

- التكامل: يتعلق بالدور التساندي أو الدور العاطفي الاجتماعي لأفرادها ويقدر"هيل ريفلان" Hill Revlen نموذجا للتوافق والقدرة على التعامل مع الضغوط بالنسبة للأسرة من خلال السعي لإيجاد الآليات لهذا التكيف، وذلك في ضوء إدراك القدرات والإمكانات المتاحة حيث أن تعرض الأسرة للحدث "أ" إذا ما قوبل باستثمار واستخدام ملائم للموارد الأسرية المتاحة "ب"سوف يصل بالأسرة إلى الحالة "ج" والتي يتوفر لدى الأسرة فيها

مقومات الوقاية الأسرية لمواجهة الحدث الضاغط، بمحاولة إعادة تنظيم عملياتها وأدوار كل فرد فيها، وإذا ما حدث إخفاق في إعادة تنظيم الأسرة لنفسها، فهذا يتبعه إخفاق في عملية مواجهة الحدث الضاغط، أما إذا كان مستوى إعادة التنظيم لديها مرتفع فإن هذا يدل على مستوى أعلى في قدرتها على مواجهة ذلك الحدث الضاغط (الهادي، ٢٠٠٥، ص.٥٦-٥٧).

يتضح أن التعامل والتكيف مع الضغوط يتوقف على ما يستخدمه الفرد أو الأسرة من موارد شخصية وبيئية ونماذج سلوكية جديدة لرفع مستوى التفاعلات والتبادلات بين الفرد والأسرة والبيئة.

كما يقدم "باترسن" Patterson نموذجا لتعامل الأسرة مع الضغوط ويحدده في مرحلتين هما:

- مرحلة التوافق: تتحدد هذه المرحلة في التغيرات الرئيسة فقط والتي تحاول الأسرة أن تستخدمها للحصول على المصادر التي تشبع مطالبها وتتعامل الأسرة مع المطالب في هذه المرحلة من خلال حياتها.
- مرحلة التكيف: تتحدد هذه المرحلة في حدوث الضغوط وقدرة الأسرة، أي بما لديها من موارد لإشباع المطالب،وهذه القدرة تتخذ نمطين:

فالنمط الأول ويخص ما تملكه الأسرة من موارد وتتمثل مصادر هذه الموارد في:

أ- الموارد الشخصية: بما تتضمنه من الصحة، الذكاء، التعلم، مهارات حل المشاكل، المهارات الوظيفية، الجانب المالي، الخصائص النفسية من تقدير الذات والإحساس بالسيطرة والتحكم.

ب- الموارد الأسرية أو موارد النسق الأسري: وتشمل مهارات المشكلة مثلها مثل الإستراتيجيات التي تدعم التماسك الأسري، إلى جانب الخصائص الأسرية من مهارات الاتصال والقدرة على التكيف مع الأدوار الأسرية البديلة.

ج- الموارد المجتمعية.

د- التدعيم الاجتماعي: ويشمل مصادر متنوعة من خلال علاقات الأسرة مع الأسرة الممتدة والأصدقاء، الجيران، مؤسسات الخدمة الاجتماعية وخدمات الرعاية الصحية والمؤسسات الدينية.

أما النمط الثاني فيخص سلوكيات التكيف أي ما تفعله الأسرة من سلوكيات للتكيف(الهادي، ٢٠٠٥، ص.٥٨-٥٩) والتي يمكن أن تظهر في:

أ- التوافق المادي: إن توافق الأسرة مع إمكانياتها في حدود ما يتوفر لها من دخل وموارد مالية يكون على أساس:

- القدرة على تحقيق الموازنة السليمة بين المتطلبات والالتزامات المادية.
- الشعور بالمسؤولية(عبد الحميد، ١٩٩٨، ص.٦١).
- تكون على أساس القناعة والرضا.

وأصبحت الدراسات الحالية الخاصة بالأسرة وطريقة الإنفاق تهتم بجميع مواردها بأنواعها المختلفة، وتتمثل موارد الأسرة في(سلامة، ٢٠٠٣، ص.٢٧١-٢٧٢):

- الموارد البشرية: وهي تشمل الموارد البشرية الشخصية وهي متعلقة بخصائص الفرد من طاقة أو جهد.
- موارد غير بشرية: وهي القدرات الشخصية والمهارات والميول والاتجاهات والعلم والمعرفة. وتتمثل هذه الموارد غير البشرية في دخل الأسرة المالي وله عدة مصادر منها: الأجور، المرتبات، والمكفآت التي يحصل عليها أفراد الأسرة نظير قيامهم بالعمل لدى أي

جهة من جهات العمل، أو الدخل النقدي الذي يحصل عليه الأفراد لحسابهم الخاص من مزاولة المهن الحرة، أو الإيراد الناتج من رأسمال مستثمر، أو من امتلاك عناصر إنتاج مثل أرض زراعة مؤجرة أو عقار، أو امتلاك أسهم وسندات.

إلا أنه توجد عدة عوامل تؤثر على استخدام الأسرة لمواردها منها: مستوى المعيشة للأسرة، حجم الأسرة وتركيبتها (السن، الجنس)، دخل الأسرة، المرحلة التي تمر بها الأسرة من دورة حياتها،عمل المرأة خارج المنزل مكان سكن الأسرة، إخلاف أهداف وحاجات ومطالب وقيم ومستويات الأسرة، ما يتمتع به أفراد الأسرة من قدرات ومهارات، واختلاف الأسعار(المطري، ٢٠٠٩، ميزانية الأسرة ... وحاجة التنظيم).

إن تعامل الأسرة مع الضغوط المالية بتنظيم الميزانية الأسرية لا يحتاج سوى للقليل من الجهد المنظم لتتمكن من ضبط ما يغطي كافة احتياجاتها الملحة الأخرى، أو تلك التي تعتبر غير دائمة كالأزمات الصحية المفاجئة، كالطوارئ والمشاركات الاجتماعية والمصاريف الكمالية والترفيهية الأخرى، فهذا الجهد والتنظيم يضمن توفير فائض شهري تستخدمه في شكل مدخرات. لأن الاستقرار المادي للأسرة يدل أيضا على الاستقرار النفسي والاجتماعي لكل أفرادها، فظروف المعيشة التي تعيشها الأسرة الجزائرية في الوقت الحالي تلزمها لأن تخضع دخلها المادي إلى طريقة متزنة، ويفرض عليها إتباع أسلوب خاص تطبقه على سلوكها الاستهلاكي، وهو نمط من الأنماط المعيشية الذي يدير ميزانية الأسرة، خاصة أنه مع انتشار ثقافة الاستهلاك والمبالغة في زيادة الرغبات الاستهلاكية التي جعلت إدارة هذه الميزانية أمر صعبا بزيادة الديون التي ترهق الأسرة وتعطل قدرتها على العيش في حياة هنيئة. لهذا فإن قدرة الأسرة على القيام بالتوافق الضروري يتوقف على درجة ارتباط أعضائها بمستوى معين للمعيشة "لأنن الأفراد في الأسرة الفقيرة يعيشون في ظروفهم الخاصة وهم واعون بها، فهم يعلمون أن أسرهم منظمة على أساس ضروريات مفروضة بفعل شروط أو ظروف مادية صعبة في الوجود" (Lucchini, 1996, P.541). إلى جانب إتباع سلوكات أخرى كأن يكون لربة الأسرة دور مهم في تدريب أفراد الأسرة بخلق وعي استهلاكي(عبد اللاوي، ٢٠١٦، ص.١٩٨)، فالإنفاق من الأمور الهامة والحيوية التي تجلب الاستقرار والشعور بالرضا داخل الأسرة، من خلال الدور التساندي أو الدور العاطفي والاجتماعي.

ب- تغير في نظام تقسيم العمل داخل الأسرة الحضرية: أصبح إعادة توزيع الأدوار داخل الأسرة حتمية تفرضها ضغوط الحياة، إذ أصبحت هذه الأدوار محددة من حيث التوقعات والمتطلبات والاعتماد المتبادل بين الزوجين خاصة مع مجيء الأطفال، بالتعاون بين الزوج والزوجة في تحمل أعباء المسؤوليات، ويقوم الرجل بمحاولة زيادة مشاركته في أعمال البيت ورعاية الأبناء، ولكن المرأة دائما هي من تقوم بالجانب الأكبر من هذه المهام ويكون قيام الرجل بزيادة أوقات المساهمة في المنزل مخصصا غالبا في رعاية الأطفال(غيات، ٢٠١٣، ص.١٠٠). وكان لزدياد خروج المرأة إلى لعمل نتيجة للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تقابل الأسرة في مواجهة أعباء الحياة وانتشار الأسرة النووية المستقلة، إضافة إلى ميل العلاقات بين أفرادها نحو الحرية والمساواة والتي غيرت كثيرا من خصائص الأسرة الجزائرية وأثرت على وظائفها الاجتماعية والثقافية وجعلت الحياة الأسرية والزوجية تقوم على المشاركة، خاصة أن صعوبة العيش في

المدينة الحضرية وتزايد متطلبات العيش، دفع بالزوجة القيام ببعض الأعمال التي كانت من مهام الزوج ومسؤولياته مثل التسوق اليومي، ودفع فواتير ومتطلبات البيت ومتابعة المعاملات الرسمية، بالوقت ذاته دفعت هذه الظروف الزوج إلى أن يقوم بمهام وواجبات الزوجة مثل غسل الصحون، وطبخ بعض المأكولات، وشراء الأطعمة، وإطعام الأطفال ورعايتهم.

ويظهر هذا التغير في الأدوار بصورة واضحة حيث يرتبط نمط تقسيم العمل بين الزوج والزوجة الخاص بتنشئة ورعاية الأبناء بنمط التنظيم الأسري المشترك، وهذا يزيد من التعاون في المجالات المختلفة داخل الأسرة. كما أصبح الأبناء في ظل الأسرة الجزائرية خاصة التي تمارس فيها المرأة الأم عملا خارج البيت يشاركون في تحمل بعض أعباء الأسرة وهذا ما سمح لهم بخدمة أنفسهم وتحمل مسؤوليات، مثل رعاية الإخوة الصغار، أو أعمال ترتيب الغرف وتنظيف البيت وإعداد مائدة الطعام.

فمن خلال الاعتماد على أساليب التنظيم الأسري في الوسط الحضري اكتسبت المرأة الجزائرية خبرة في تنسيق الوقت والحركة داخل الأسرة، من أجل التكيف مع متطلبات الأعمال اليومية المضاعفة، منها اختصار الأعمال الروتينية، وأداء عدة واجبات في يوم واحد، أو تأجيل بعضها أو التخلي عن بعض الالتزامات التي لا تجدها ضرورية، كما تعتمد على تفويض جزء من المسؤوليات لباقي أفراد الأسرة. كما تلجأ المرأة إلى تقسيم الأعمال المنزلية إلى أعمال سهلة ومتوسطة وصعبة مع توزيعها على ساعات اليوم أو الأسبوع، وتحاول من جهة أخرى تحسين أساليب العمل في القيام بالأعمال المخصصة داخل المنزل، عن طريق ترتيب الأجهزة والأدوات حسب استخدامها، والقيام بكل عمل في وقته دون تأجيله وتراكمه، وكذلك تحديد وقت كاف لكل عمل أو وضع خطة لتخطيط الوقت اللازم للقيام بالأعمال الأكثر أهمية للأسرة، إلى جانب ذلك تتجه غالبية الأسر الجزائرية الاستعانة في حياتها بعدد من الأدوات التكنولوجية والتجديدات المادية مثل الأدوات الكهرومنزلية الحديثة لما توفره من وقت وجهد، كما أنها تناسب عصر السرعة وتعطي مستوى عالي من الأداء(عيساوة، ٢٠١١-٢٠١٢، ص ص: ٣٣٤-٣٥٦). إلى جانب الاعتماد على المواد الغذائية الجاهزة والمعلبة والمواد الغذائية نصف المطبوخة، والأطعمة المجمدة والمحفوظة، ومعدات التنظيف، إضافة إلى الاستعانة بالشغالات، وكان لانتشار المطاعم والمخابز دور في تخفيف أعباء الأسرة الحضرية.

أما فيما يخص رعاية الأطفال، فقد أصبحت المرأة في الأسرة الجزائرية تلجأ إلى الاستعانة ببعض البدائل الوظيفية في رعاية الأطفال، منها دور الحضانة، جماعة الجوار(المربية) أو بعض أفراد أسرتها من أسرة التوجيه. كما أصبحت السيارة ضرورة للأسرة الحضرية في الوقت الحالي، فوجودها وتطلع الأسرة إلى امتلاكها أصبح ضروريا.

والأسرة الجزائرية المعاصرة تعيش نمط الحياة المبرمج بترشيد أو عقلنة الحياة الاجتماعية بتحديد ما يفعله الفرد يوميا، إذ أصبح الوقت ضرورة ملحة بالنسبة للأسرة، فهو من أكثر العوامل اليومية سلطة وتأثيرا على حياتها لأنه يشكل وينظم ويحدد الطريقة التي يعمل بها الأفراد، وفي مجتمعاتنا المعقدة لا يمكن التعامل مع الوقت إلا كأداة تنظيمية يقود إلى الشعور بتفوقه على قدرة التحكم في المسؤوليات، وتثير الجهود المبذولة لتحقيق توازن بين متطلبات العمل والأسرة وأوقات الترفيه عدة تساؤلات حول قيمة الوقت والخيارات المتاحة في كيفية توظيف الوقت.

خاتمة

إن الأسرة هي الوحدة الأولى التي يقوم عليها بناء المجتمع، إذ تكشف لنا دراسة الأسرة عن موطن الضعف والصراع والتوازن والتكامل في بناء المجتمع، مما يمكن واضعي السياسات الاجتماعية من تخطيط برامج قائمة على المعرفة العلمية للتنمية الشاملة للمجتمع، خاصة مع التحولات والتغيرات التي طرأت على كافة مجالات الحياة التي فرضتها مقتضيات العصر، وكانت هذه التطورات والتغيرات سريعة ومتلاحقة وأصبح من الصعب مسايرتها، وهذا ما أثر على الأسرة وألزمها بضرورة التكيف مع هذه الظروف الجديدة. وحتى تتجاوز الأسرة هذه العراقيل عليها إتباع مجموعة من التوصيات وهي:

ــ إجراء المسوح الدورية لملامسة ضغوط الأسرة في الواقع بشكل مباشر، والعمل على الحد منها.

ــ إعادة بناء الأسرة وتدعيمها، ويرتبط هذا بإعادة البناء الشامل للمجتمع، بحيث يتناول مفهوم السياسة الأسرية ككل ومراجعة الجوانب المتعلقة بحياة الأسرة.

ــ توفير الرعاية الاجتماعية للأسرة، والعمل على حل مشاكلها والتخفيف من الآثار المترتبة عليها، للوصول إلى حياة أسرية مستقرة حتى تستطيع أن تحقق وظائفها.

ــ لابد قبل أن نطالب الأسرة بأن تكون واعية لأداء أدوارها بأكثر فاعلية، يستلزم أن نوفر لها قدر من الظروف المعيشية الملائمة، بالإضافة إلى الإحساس بالأمان اتجاه المستقبل القريب والبعيد.

ــ ضرورة الاهتمام بدراسة الأسرة لتحديد الظروف والمتغيرات الحالية، وقياس أثرها على واقع الحياة الأسرية.

ــ وضع سياسات إصلاحية لتحسين أوضاع الحياة التي تمثل التدخل على المستوى البنائي، والتي تحمي الأسرة من الآثار السلبية.

Abstract

Algerian family: Real Pressures and Ways of Adaptation

By WAHIBA AISSAOUA

And NABILA AISSAOUA

And MOULKHEIR MESSAOUDI

This paper discusses a very important issue, that is family pressures and adaptation and its methods. It shows the pressures that face the family as a result of the contemporary lifestyle and hinder it from playing its role and executing its functions to the fullest extent. It also focuses in particular on understanding and interpreting the reality of the family in Algerian society.

Thus, this paper calls for developing policies for family social welfare and reform policies to improve the lifestyle of all families.

Keywords: Adaptation - Family pressures.

قائمة المراجع:

أولا: الكتب

١- بشير، إقبال محمد وآخرون.(بدون سنة). ديناميكية العلاقات الأسرية. دراسة عن الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
٢- بومخلوف، محمد وآخرون. (٢٠٠٨). واقع الأسرة الجزائرية والتحديات التربوية في الوسط الحضري–القطيعة المستحيلة– ط١. الجزائر: دار الملكة. مخبر الوقاية والأرغنومينيا. جامعة الجزائر. سلسلة احذر من الخطر قبل فوات الأوان. رقم ٤..
٣- الحسن، إحسان محمد. (٢٠٠٥). علم اجتماع العائلة. ط١. عمان: دار وائل للنشر.
٤- حسن، محمود. (دون سنة). الأسرة ومشكلاتها. بيروت: دار النهضة العربية.
٥- حسين، طه عبد العظيم. حسين، سلامة عبد العظيم. (٢٠٠٦). استراتيجيات إدارة الضغوط التربوية والنفيسة. ط١. عمان: دار الفكر.
٦- حلمي، إجلال إسماعيل. (١٩٩٠). دراسات في علم الاجتماع الأسري. ط١. الإمارات العربية. دار القلم للنشر والتوزيع.
٧- الخولي، سناء. (٢٠٠٠). الأسرة والحياة العائلية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
٨- دعبس، محمد يسري إبراهيم. (١٩٩٧). التربية وتنمية المجتمع، رؤية في أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة. الإسكندرية: سلسلة الأسرة التربوية. رقم٣.
٩- الراشدان، عبد الله زاهي. (٢٠٠٥). التربية والتنشئة الاجتماعية. ط١. عمان: دار وائل.
١٠- رشوان، حسين عبد الحميد أحمد. (٢٠٠٢). مشكلات المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري. الإسكندرية: المكتب العربي الحديث.
١١- الرشيدي، هارون توفيق. (٢٠٠٤). الضغوط النفسية: طبيعة نظرياتها. ط٢. القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية.
١٢- رودجرز، روي.(١٩٨٧). التفاعل والتعامل العائلي: طريقة فهم التطورية. ترجمة جرجوس يونس. دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
١٣- سلامة، محمد علي. (٢٠٠٣). الانفتاح الاقتصادي وآثاره الاجتماعية على الأسرة. ط١. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
١٤- عبد الحميد، أحمد يحي. (١٩٩٨). الأسرة والبيئة. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
١٥- عثمان، سعيد محمد. (٢٠٠٩). الاستقرار الأسري وأثره على الفرد والمجتمع. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
١٦- عمر، ماهر محمود. (بدون سنة). سيكولوجية الجماعة. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
١٧- عمر، معن خليل. (٢٠٠٠). علم اجتماع الأسرة. ط١. عمان: دار الشروق.
١٨- العوا، عادل. (١٩٩١). تحديث الأسرة والزواج. دمشق: دار الفاصل.
١٩- المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي. (١٩٩٤). دعم دور الأسرة في مجتمع متغير. عدد خاص بمناسبة اختتام فعاليات السنة الدولية الأولى للأسرة. سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية. رقم ٢٨.
٢٠- النيال، مايسة أحمد. (بدون سنة). التنشئة الاجتماعية، مبحث في علم النفس الاجتماعي. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
٢١- الهادي، فوزي محمد. (٢٠٠٥). الضغوط الأسرية من منظور الخدمة الاجتماعية. القاهرة: دار القاهرة.

ثانيا: الرسائل الجامعية

٢٢- إبراهيم، سهام سليم راتب. (٢٠٠٧). بناء برنامج إرشادي جمعي لتدريب الأمهات على مهارات الاتصال وحل المشكلات وقياس أثره في تحسين العلاقات الأسرية. أطروحة لنيل شهادة دكتوراه فلسفة في التربية، تخصص إرشاد نفسي وتربوي – غير منشورة. كلية الدراسات التربوية العليا، جامعة عمان العربية للدراسات العليا. عمان.
٢٣- رحماني، نعيمة. (٢٠١٠-٢٠١١). العنف الزوجي الممارس ضد المرأة بتلمسان: محكمة تلمسان نموذجا. رسالة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص أنثروبولوجيا – غير منشورة. كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان. الجزائر.

٢٤- عيساوة، نبيلة. (٢٠١١-٢٠١٢). التغيرات الطارئة على أدوار المرأة الجزائرية ومظاهرها الجديدة في الأسرة والمجتمع، دراسة ميدانية مقارنة بين المرأة الماكثة بالبيت والمرأة العاملة بمدينة البليدة. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع العائلة – غير منشورة. كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر٢. الجزائر.
٢٥- عيساوة، وهيبة. (٢٠١٣-٢٠١٤). اختلال النظام الأسري: دراسة حول ضغوط الأسرة في الوسط الحضري – دراسة ميدانية بمدينة البليدة. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع العائلة – غير منشورة. كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر٢. الجزائر.

ثالثا:المجلات

٢٦- حاج سليمان، فاطمة الزهراء. (٢٠١٦). الأسرة والإعاقة العقلية: دراسة عيادية نسقية على أسرة بمصلحة الأمراض العقلية بالمستشفى الجامعي لتلمسان. مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية. العدد ٠٠. ص ص:٠١-١٣.
٢٧- دراوات، وحيد. (٢٠١٨). المرأة العاملة بين ضغوط الوظيفة ومتطلبات الحياة الأسرية: رؤية نقدية. مجلة آفاق للعلوم. العدد١١. ص ص: ٠١-٠٩.
٢٨- دغة، محمد. (٢٠١٣). الضغوط لدى المرأة العاملة. الملتقى الدولي الثاني حول ظاهرة المعانات في العمل بين التناول السيكولوجي والسوسيولوجي. ص ص: ٠١-٠٨.
٢٩- زهراوي، خروفة. (٢٠١٥). المسن في الأسرة الجزائرية: مقاربة في تحليل العلاقات في ضوء التغيرات الحاصلة في الأسرة. مجلة التنمية البشرية. العدد 05.ص ص: ٠١-١٠.
٣٠- عبد اللاوي، ليندة. (٢٠١٦). الأسرة الجزائرية والعولمة الوظائف الاقتصادية الجديدة: اختيار أم إكراه. مجلة آفاق فكرية. العدد ٠٤.ص ص: ٠١-١٠.
٣١- غيات، حياة. (٢٠١٣). صراع الأدوار عند المرأة العاملة في المواقع القيادية. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد١٢. ص ص: ٠١-١٥.
٣٢- مداس، قحقوح. (٢٠١٣). واقع المرأة الجزائرية العاملة والصعوبات التي تواجهها. مجلة أنسنة للبحوث والدراسات. العدد ٠٧. ص ص: ٠١-١٨.

رابعا: مراجع الأنترنت

٣٣- بوروبي، رجاح فريدة. (٢٠١٣). الضغوط الأسرية لدى الأسرة الجزائرية. https://manifest.univ-ouargla.dz
٣٤- المطري، منير. (٢٠٠٩). ميزانية الأسرة .. وحاجة التنظيم.
http://masrof.Word press.com

خامسا: المعاجم

٣٥- معجم العلوم الاجتماعية. (١٩٧٥). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

OUVERAGES

36- Berkey K.M , Hanson, S.M. (1991). Family assessment and intervention. USA, Mosby-year book.
37- Boutefnouchet, Mostafa. (2004). Société et Modernité, Les principes du changement social. Alger. Office de Publications Universitaire..
38- Boutefnouchet, Mostafa. (1980). La famille Algérienne, Son évolution et ses caractéristiques récentes. Alger. Ed SNED.
39- De Lauwe, Chombart. (1962). Paris ou l'agglomération parisienne. Paris. P.U.F.
40- Lucchini, Riccardo. (1996) . Sociologie de la Survie l'enfant dans la rue. 1 éd. Paris. P.U.F.